

الفصل الثانی

لویس ہنری سورہان

---

### لمحة عن حياته ومؤلفاته :

- لويس هنرى مورجان Lewis Henry Morgan ( ١٨١٨ —  
١٨٨١ ) هو أحد الرواد الاوائل من علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الذين  
عاشوا في القرن التاسع عشر . وقد أشتغل في بداية حياته بمهنة  
المحاماة<sup>(١)</sup> ، تماما مثل مين Maine ( ١٨٢٢ — ١٨٨٨ ) وما كلنان  
Mc Lenan ( ١٨٢٧ — ١٨٨١ ) وباخوفن Bachofen ( ١٨١٥ —  
١٨٨٧ ) ، ثم اعتزل تلك المهنة بعد ذلك وتفرغ للبحث العلمى .  
ولو أن مورجان لم يدرس قط في جامعة من الجامعات ، ولم يحتك في  
يوم من الايام منصبا علميا الا أن دراساته كان لها أثرها الكبير لفترة من  
الزمن في الدوائر العلمية<sup>(٢)</sup> .

---

(١) E. E. Evans-Pritchard, Social Anthoropology (London, 1951),  
p. 29.

(٢) L. White, ; Lewis Morgan : Poineer in the Theory of Social  
Evolution» in H. Barnes(Ed·) : An Introduction to the History of Socio-  
logy (Chicago, 1948), p. 139.

فقد قام بدراسة الايروكوا<sup>(٣)</sup> Iroquois ونشرت نتائج ذلك البحث سنة ١٨٥١ • ويرى روبرت لوى أن هذه الدراسة تعتبر من أحسن الدراسات الوصفية التى كتبت عن الهنود الحمر<sup>(٤)</sup> •

ويعتبر كتاب « نسق روابط الدم والمصاهرة فى العائلة الانسانية

Systems of Consanguinity and Affinity in the Human Family

(سنة ١٧٧١) من الكتب التى أكسبت مورجان شهرة كبيرة أيضا • فقد قام بدراسة ١٣٩ نسقا للقرابة فى أجزاء مختلفة من العالم • وقد جمع بياناته عن هذا الموضوع بنفسه بالنسبة لقبائل الهنود التى درسها وكذلك بالاعتماد على قوائم الاسئلة a schedule of questions بالنسبة للمجتمعات الاخرى التى لم يتمكن من دراستها بنفسه • فقد أعد مورجان قائمة أسئلة وأرفق بها خطابا لايضاح الغرض من البحث ثم أرسلها الى جميع مراكز المبشرين والعسكريين فى أنحاء الولايات المتحدة للرد على الاسئلة الموجودة بها • كما أنه قد تمكن كذلك من اقناع المسؤولين بالحكومة الامريكية للحصول على معاونتهم فى هذه الناحية • وبالفعل فقد تم فى سنة ١٨٦٠ ارسال قوائم أسئلة الى جميع رجال السلك الدبلوماسى للولايات المتحدة فى الخارج للإجابة على الاسئلة الواردة بها<sup>(٥)</sup> •

كما يهمننا أن نشير كذلك الى أن نظرية مورجان عن التطور الثقافى التى أوضحها لنا فى كتابه « المجتمع القديم Ancient Society » (سنة

(٣) كان الايروكوا يعيشون بالقرب من نيويورك حيث كان يعيش مورجان • وكانت صلته بهم قوية لدرجة أنهم تبنوه عضوا بالقبيلة •

(٤) Robert Lowie, The History of Ethnological Theory p. 55.

(٥) T. K, Penniman, A Hundred Years of Anthropology (1952), p. 163.

( ١٨٧٧ ) قد أكسبته شهرة كبيرة أيضا • وسوف نتناول هذه النظرية بشيء من الإيجاز •

### نظرية التطور الثقافي (٦) :

يرى مورجان أن العوامل التكنولوجية technological factors لها أهميتها الكبرى في حياة المجتمعات وما يلحق بها من تغيرات (٧) • فالإنسان كان في بداية حياته مجرد حيوان ، يعيش تماما كما يعيش سائر الحيوانات • ولكنه نظرا لما حبت به الطبيعة من القدرة على الكلام وتبادل الأفكار مع غيره من بنى جنسه وتناقلها من جيل الى آخر ، فقد تمكن من أن يرتفع بنفسه عن مستوى الحيوان وأن يتقدم على مر الزمن من مرحلة التوحش الى مرحلة الحضارة • ولقد كانت الأدوات tools والاسلحة Weapons المختلفة التي اخترعها الإنسان على مر الزمن هي الوسائل الرئيسية التي ساعدته على زيادة سيطرته على الطبيعة والارتقاء بنفسه •

---

(٦) في خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذ العلماء يتجهون شيئا فشيئا لدراسة الثقافة Culture . ومن الملاحظ أنهم لم يقصروا دراستهم على الثقافات المتقدمة advanced cultures في أوروبا وأمريكا وآسيا ، ولكنهم قد قاموا أيضا بدراسة ثقافات الشعوب البدائية . ولا شك أن ذلك يرجع الى ازدياد معرفة العلماء بتاريخ أوروبا في العصور القديمة نتيجة لتقدم الأبحاث التي قام بها علماء الآثار في ذلك الحين . كما أن ذلك يرجع أيضا الى تدفق المعلومات التي جمعها الرحالة والمبشرون والجنود عن عادات ومعتقدات الشعوب البدائية . ولقد أدى تدفق هذه المعلومات عن ثقافات الشعوب المتحضرة والشعوب البدائية الى اثاره القضية التالية : ما هي علاقة ثقافات الشعوب البدائية بثقافات الشعوب المتحضرة في أوروبا وأمريكا ؟ ومن ثم فاننا نجد أن كثيرا من علماء الانثروبولوجيا في القرن التاسع عشر قد اتجهوا لدراسة التطور الثقافي Cultural evolution . ومن هؤلاء العلماء نذكر تايلور في كتابه « الثقافة البدائية Primitive Culture » ( سنة ١٨٦٥ ) ومورجان في كتابه « المجتمع القديم » ( سنة ١٨٧٧ ) . انظر :

وبعبارة أخرى يرى مورجان أن التقدم التكنولوجي يؤدي إلى حدوث تغيرات جوهرية في النظم الاجتماعية السائدة مثل العائلة ونظام الملكية والحكومة .

ولقد قسم مورجان تاريخ الثقافة Culture history إلى ثلاث مراحل stages : رئيسية هي :

١ - مرحلة التوحش Savagery

٢ - مرحلة البربرية Barbarism

٣ - مرحلة الحضارة Civilization

ثم قسم كل مرحلة من المرحلتين الأولى والثانية (التوحش والبربرية) إلى ثلاث مراحل أخرى : دنيا ، وسطى ، وعليا .

ويقرر مورجان أن كل مرحلة من المراحل المذكورة قد بدأت باختراع تكنولوجي عظيم a major technological invention . فهو مثلا يذكر أن مرحلة التوحش الوسطى قد بدأت بمعرفة استخدام النار fire وصيد الاسماك ، أما مرحلة التوحش العليا فقد بدأت باختراع القوس والسهم bow and arrow الخ .

والجدول التالي يوضح المراحل الخاصة بتطور الثقافة والاحتواء السائدة في كل مرحلة كما أوضحها لنا مورجان (٨) .

ويذكر لنا مورجان أننا نجد شواهد على كل مرحلة من المراحل المذكورة في مجتمعاتنا المعاصرة وكذلك في المجتمعات التي عاشت في الماضي .

رقم المرحلة	المراحل	ظروف كل مرحلة
١	مرحلة التوحش الدنيا	وتبدأ من طفولة الجنس البشرى حتى بداية المرحلة التالية • والانسان في تلك المرحلة لم يكن يختلف كثيرا عن الحيوان:
٢	مرحلة التوحش الوسطى	وتبدأ بمعرفة الانسان استخدام النار والقدرة على صيد الاسماك •
٣	مرحلة التوحش العليا	وتبدأ باختراع القوس والسهم •
٤	مرحلة البربرية الدنيا	وتبدأ باختراع الاواني الفخارية •
٥	مرحلة البربرية الوسطى	وتبدأ هذه الفترة باستئناس الحيوانات وزراعة الذرة والنباتات بالاعتماد على الري ، كما أقيمت المساكن من الطوب النى والحجارة •
٦	مرحلة البربرية العليا	وتبدأ هذه المرحلة باكتشاف طريقة صهر الحديد واستخدام الادوات المصنوعة من الحديد •
٧	مرحلة الحضارة	وقد بدأت هذه المرحلة باختراع حروف الهجاء والكتابة ، وهي تمتد حتى وقتنا الحاضر •

فهو، مثلاً، يذكر أن ثقافة الأيروكوا تشبه نمط الثقافة الذى كان سائداً في مرحلة البربرية الدنيا<sup>(٩)</sup>.

يتضح لنا مما تقدم أن مورجان كان يهدف إلى إعادة تركيب المراحل التى يتصور أن المجتمعات قد مرت بها في تطورها دون أن يكون لديه معلومات صحيحة يستند إليها في دراسته . ومن ثم فإننا نجد أن كثيراً من النظريات التى توصل إليها كانت خاطئة . ومن الأمثلة على ذلك نظريته عن تطور الأسرة the evolution of the family . فهو يرى أن نظام الأسرة المونوجامى والموجود في مجتمعنا الماصر ، قد سبقه حتماً تطورا في نظام الأسرة على عدة مراحل . فالمجتمع البشرى كان في البداية عبارة عن زمن اجتماعية بسيطة تسودها الاباحية الجنسية<sup>(١٠)</sup> promiscuity ، ثم تطور هذا لنظام الى نظام الزواج الجماعى group marriage . ثم تطور النظام فظهر نظام الانتساب للام ثم الانتساب للاب . وأخيراً ظهر نظام المونوجامى .

ولقد انبرى العلماء لدحض هذه النظرية ، وإثبات خطئها . ويرى رالف بيلز أنه لا يوجد لدى مورجان أى دليل لإثبات هذا التتابع بالنسبة لتطور الأسرة . كما أنه يلاحظ أيضاً أن نظام الأسرة المونوجامى يوجد في المجتمعات المتحضرة كما أنه يوجد أيضاً في كثير من المجتمعات البدائية<sup>(١١)</sup>.

Ralph Beals, op. cit., p. 606 .

(٩)

(١٠) يهنا أن نشير هنا الى أن العالم السويسرى باخوفن كان أيضاً من الذين ذهبوا الى أن الشيوعية الجنسية كانت هى النظام السائد في فجر الإنسانية . وقد ذكر باخوفن ذلك في كتابه « حق الام » الذى ظهر سنة ١٨٦١ .

Ralph Beals, op. cit., p. 606—607.

(١١)

أما كارل ماركس وفردريك انجلز فأنهما قد أبديا اهتماما كبيرا بكتاب  
« المجتمع القديم » واعتبراه عملا عظيما . وفي الذكرى الخمسين لوفاة  
مورجان أقام علماء الانثروبولوجيا في الاتحاد السوفيتي حفلا كبيرا ، كما  
قامت أكاديمية العلوم هناك بنشر ترجمة لكتاب « المجتمع القديم »<sup>(١٢)</sup> .